



منذ فترة وأنا أتعامل مع ما أعيشه في حياتي معتمداً على مجموعة قواعد آمنت بها وتعايشت مع من حولي من خلالها، وكان لها دور كبير في إيضاح الكثير من الحقائق لي، وكانت توصلني هذه القواعد إلى التعامل بالعدل مع الناس وعدم ظلمهم والجور عليهم، وسأتناول على مدى ثلاثة مقالات بعض هذه القواعد وأطبقها على الحالة السورية، وهدفي من ذلك أن أتعرف إلى حقيقة ما يجري في سوريا، بعد أن تضاربت الآراء:

ـ الرأي الأول: يهاجم النظام ويتهمه بالظلم وممارسة القهر والذل للشعب السوري، وذلك فقط لأنه طالب بعد أربعين سنة من الخنوع والخضوع والاستسلام لهذا النظام، طالب بحرية... كرامة... احترام، وبعد ذلك بدأ يقول لن نحصل على هذه الطلبات الثلاثة إلا بعد سقوط هذا النظام، فبدأ يطالب بسقوط النظام.

ـ الرأي الثاني: يدافع عن النظام، ويوزع اتهامات تطور الأحداث إلى مجموعة عصابات؛ تارة يقول عنها إخوان، وتارة بشمرجا، وتارة سلفية جهادية مدربين لدى المخابرات الأمريكية، وتارة مخربين مهربين مخدرات تابعين إلى لبنان، وأن النظام بريء من كل ما ينسب إليه من قتل المواطنين الأبرياء، بل هم من يُقتلون على أيدي هذه العصابات الإرهابية، وأن الدولة تمشي في إصلاحات، ولكن للأسف أن الفتنة التي تعصف بالبلاد لا تعطي ولا تريد أن تعطي فرصة للإصلاح.

حسناً، الآن المواطن السوري من يصدق، وما هي الأسس التي يكتشف فيها الكاذب من الصادق، وأهمية تحديد الصادق من الكاذب هنا، تتركز في تحديد موقفه ودوره في الأحداث، وتحدد مسؤوليته، وواجباته اتجاه ما يحدث، حيث أنه لا بد أن يكون لكل مواطن سوري دور في تحديد شكل المستقبل الذي سيعيش فيه ما تبقى من عمره، والذي سيعيش فيه أبناؤه وبناته في المستقبل.

القاعدة الأولى: ما بني على باطل فهو باطل:

عندما يُحكم بقطع يد رجل اتهم بالسرقة، يكون مبنياً على أدلة ترقق مع التهمة للمحكمة، وشهود يشهدون ضده، وعليه يصدر حكم قطع اليد، ولكن إذا تبين للقاضي بطلان الأدلة، وتزوير الشهود للحقيقة فإنه سرعان ما يلغى حكمه على هذا الرجل، فعندما نسأل: لماذا غيرت حكماً قد صدر وانتهى، يقول: ببطلان الأدلة، وما بني على باطل فهو باطل.

من المثال السابق وأمثلة كثيرة أخرى تثبت صحة هذه القاعدة، من هنا سننطلق إلى ادعاء النظام السوري بوجود جماعات إرهابية تقوم بقتل الجيش والأمن، والناس، وهذا ما استدعي قوى الأمن والجيش التوجه لمحاصرة المدن والقرى لمحاربة هؤلاء، ومنعهم من الإفساد ونشر المخدرات، وبث الفتنة الطائفية بين الشعب السوري، وينسبون كل القتل الذي يقومون به فيه إلى هذه الجماعات ويرئون الجيش والأمن من ذلك كله.

السارق في مثالنا هو الجماعات الإرهابية في مثالهم، وشهود الزور والأدلة هم النظام وأمنه، والقاضي في المثال هو المواطن السوري، النظام يتهم جماعات إرهابية تخريبية تحمل أجندة خارجية، ت يريد تهديد أمن الدولة ووحدتها، وذلك بسبب أنها دولة ممانعة وداعمة للمقاومة سواء الفلسطينية أو اللبنانية، ودليلها على ذلك شهود عيان وهم الأمن والجيش، وطبعاً الإعلام المزمر والمطلب بحياة النظام.

لدينا هنا كلمات مهمة لمناقشتها بإسهاب وهي:

* **جماعات إرهابية تخريبية تحمل أجندات خارجية:** ولنا أن نسأل أنفسنا من أين أنت هذه الجماعات؟ ومتى جاءت؟ وكيف جاءت؟ الجميع يعلم أن النظام السوري نظام قمعي مجرم، وأن المواطن السوري خلال العقود الأربع الماضية لا يجرؤ أن يحمل سكين، أو أن يواجه جندي صغير في الأمن، والجميع يعلم ذلك، ثم هل هم من أجبر الأطفال بالكتابة على الجدران؟ وهل هم من أجبر أهالي درعا للمظاهرات لصالح أولادهم بسبب ما نالوه من تعذيب وتقليل للأطفال؟ وهل هم من أشعلوا الشارع السوري بالاحتجاجات؟ ثم لقد كان من الصعوبة في البداية تحديد هويتهم، فتارة يوجهون التهم للعراق، وتارة للبنان، وتارة لتركيا، وأخيراً للسلفية الجهادية المتدربة لدى المخابرات الأمريكية، في حين أن المخابرات الأمريكية قتلت رئيس السلفية الجهادية أسامة بن لادن، وهي تحضن أتباعه وتدرّبهم!!، والله قمة السخرية والاستهزاء بالمواطن السوري.

* **يسأل أنها -أي سوريا- دولة ممانعة ومقاومة تحضن المقاومة الفلسطينية واللبنانية:** أيضاً هذا محضر كذب، خلال أربعة عقود أيضاً لم تكن إسرائيل مرتاحاً على حدود مثل ارتياحها على الحدود السورية، فمنذ 1973 م لم يتم إطلاق طلقة واحدة بالجولان، ثم ثانياً: لقد تكشف اليوم أن من باع الجولان هو النظام السوري، ومن أعطى الأمان لإسرائيل هو النظام، ثم ما معنى احتضن المقاومة الفلسطينية أولاً؟ هل يعني سمح لهم بالبقاء في سوريا، فهذا نعم حصل ولكن مقابل مكاسب مالية يعرفها من يعرفها، وأما إذا كان المقصود بكلمة احتضان المقاومة أي دعمها ومساعدتها على المقاومة فهذا لم يحدث، ومنذ أن تواجدت المقاومة الفلسطينية في سوريا، وهي مأسورة مكبلة، لا تستطيع أن تصرح بأي أمر إلا من خلال النظام السوري، ولا بد أن يمجد بداية هذا النظام، وقد تدعى الأمر إلى التمجيد بإيران وبأحمدي نجاد حيث وصف بأنه أمير المؤمنين، وأما المقاومة اللبنانية فإنني أشهد بأنهم احتضنوها بالمعنىين، وهذا الدعم لحزب اللات والعزى، هو الاحضان الحقيقي، ولكن علينا أن نعرف ما هي المقاومة اللبنانية هل هي فعلاً مقاومة العدو؟، أقول نعم هي مقاومة العدو، ولكن ما تعرّف العدو بالنسبة لحزب اللات والعزى، هو نحن أي الشعوب السنّية، وليس العدو الصهيوني، وقد أثبتوا ذلك بمساندة النظام في قتل شعبه، مساندة إعلامية وعسكرية كما روى أكثر من شاهد عيان، ولعل الأيام القريبة القادمة ستكتشف لنا ذلك بكل وضوح.

* **شهود عيان وهم الأمن والجيش، وطبعاً الإعلام المزمر والمطلب بحياة النظام:** إن القاضي عندما يريد أن ينظر إلى قضية ما لا بد أن يستمع إلى كافة الأطراف، ومن ثم يستمع لشهود الإثبات وشهود النفي، ثم يصدر حكمه، أليس ذلك ما يحدث يا أهل العدل؟ إن المتهم هو النظام والذي ينفذ جرائمه بأيدي الأمن وبعض ميليشيات الجيش، وقد أدلّ بما لديه، فأين الخصم

وأين شهود العيان المستقلين، إن النظام السوري، دأب على عدم السماح لأي وسيلة إعلامية بالدخول لتشهد على ما يحدث في سوريا، ويمنع الناس أن تتحدث بأريحية لدى حتى وسائل إعلامه، ونحن نعلم أن السعي المنظم والمرتب إلى عدم إظهار ما يحدث في سوريا اليوم لهو الدليل القاطع على أن هذا النظام كاذب فيما يدعوه ويقوله، بل ومدلس للحقائق، وإلا لو كان صادقاً لأظهر ما يفعله أمام الناس.

مما سبق يثبت أن النظام قد مارس الكذب في كافة ما يصرح به وما يقوله، وأن ما بنى عليه تبرير دخول الجيش إلى المدن والقرى السورية وادعاءه بوجود عصابات إرهابية تقتل وتذبح الناس هو باطل وما بنى على باطل فهو باطل، إذا الذي يقوم بكل هذه الجرائم هو النظام السوري وأذرعه الأمنية وبعض أركان جيشه.

خاتمة: لقد ثبت بالدليل القاطع أن هذا النظام يتصرف بالصفات التالية:

- كاذب أشر.
- مجرم بشع.
- كافر مصر.
- عميل للشيعة.

وعليه؛ فإن مقاومة هذا النظام واجب شرعي على كل مواطن سوري ابتداءً وعلى كل مسلم انتهاءً، لذا أقول لكل الشعب السوري، انتفضوا وثوروا وتظاهرموا في وجه هذا الظالم وأسقطوا نظامه، وأنتم تعلمون لا يمكن أن يتم ذلك إلا بعد تقديم تضحيات كبيرة، وأنا واثق بأنكم مستعدون لذلك، فال أيام السابقة أثبتت ذلك، وبرهنت عليه دماء الشهداء الأحرار الأبرار، ومواقف البطولة التي سطرته نساء الوطن، وشبابه وشيوخه وأطفاله، عربه وكرده، وما هي إلا أيام قليلة وينهار هذا النظام، بإذن الله - تعالى - والله غالب على أمره.

القاعدة الثانية: المثبت مقدم على النافي:

لو أن رجلاً قال لك: إنني رأيت محمداً في مقهى كان، ثم أتى آخر وقال لك: أنا لم أر محمداً في مقهى كان، فمن تصدق؟، الأول مثبت لرؤيه محمد أم الثاني نافي لرؤيته، إذا هل محمد كان في المقهى أم لا؟.

إن الأحداث اليوم تدور حول هذا المعنى تماماً، فشهود عيان وصور وفيديوهات تقول: أن هناك مظاهرات تخرج بالآلاف في معظم مدن سوريا وقرها، ثم يأتي الإعلام السوري وينفي وجود هذه المظاهرات بالآلاف، ويصور مناطق فارغة من البشر، ليثبت أنه لا توجد مظاهرات، هل عدم رؤية الإعلام السوري للمظاهرات كما يزعمون هو دليل على عدم وجودها كما صاحبنا محمد، أم المثبت للمظاهرات هو الواجب تصديقه، فقد يكون - وهذا إن أحسن الظن بالإعلام السوري - الإعلام السوري لم يكن حين كانت المظاهرات، أو لم يكن في مكان المظاهرات، أو - وهو الأصوب على الأرجح - لا يزيد الإعلام أن يظهر للشعب السوري ما يحدث حتى لا يتشجعون في الخروج، لأنه بوق النظام، ويعمل لمصلحته وهو ليس حر بالطبع.

إذاً القاعدة الثانية تساعدنا في تحديد من الصادق ومن الكاذب، وقد ثبت أن الإعلام السوري متواطأ مع النظام في قمع وقتل الشعب، ونشر الفتنة بين أطياف الشعب السوري، وأنا لا أريد أن أقول كما قال أكثر من إعلامي في التلفزيون السوري، بأن لا تنتظروا لكافحة القنوات فهي مغرضة وعميلة وعدوة لنا، واسمعوا فقط لإعلامنا النزيه النظيف الذي يريكم الحقيقة بعينها، وهم يذكروننا بقريش حين كانوا يمنعون الناس من الاستماع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأن لا يستمعوا إلا لهم، لن أقول لكم ذلك، ولكن أقول لكم: حين تستمعون إلى التلفزيون السوري أعملوا عقولكم، وانطلقوا في فهم ما يقوله الإعلام السوري من خلال المخزون الكبير الموجود في عقولكم عن هذا النظام ونوعيته وطبيعته، وعندما سيهديكم الله - تعالى - لمعرفة الحقيقة ومعرفة من هو الكذاب الأشر، هل هو الإعلام السوري أم الإعلام الحر، وهذه ليست تزكية للإعلام العربي بقدر أنه توضيح بأن الإعلام العربي لا يحتوي هذا الكم الهائل من الكذب والنفاق، والمتوفر بكثرة في الإعلام السوري.

القاعدة الثالثة: لا يصلح أن يكون الخصم حاكماً

هناك قصة جميلة ومشهورة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، عندما شكاه يهودي للقاضي بأنه أخذ منه درعه، ولم يعده فجأة أمير المؤمنين إلى القاضي بجانب اليهودي ليذكر كل واحد منهم حجته، فحكم القاضي لصالح اليهودي لقوة حجته، انظر ما حدث!! أمير المؤمنين يقف بجوار خصمه أمام القاضي، لماذا؟ لأنه لا يصلح أن يكون الخصم حاكماً.

ولو طبقنا هذا المثال على الحالة السورية، يظهر لنا مدى مخالفة النظام لهذه القاعدة التي أسسها الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، حيث لا يجوز للنظام السوري أن يكون خصماً وحكماً، ونحن نرى الموضوع كما يلي هناك خلاف بين فئة من الشعب -بغض النظر عن عدد المتظاهرين، البعض يقول بالألاف، وهذا ما نراه، والبعض يقول بضع مئات، وهذا ما يدعوه النظام-، إذا هناك خصمان؛ الشعب والنظام، فمن الذي يجب أن ينظر في القضية ويوقف المتخاصمان أمامه بمستوى واحد وينظر ثم يتحقق من أدلة كل طرف، هل يجوز أن يكون النظام أو أنابه، من قضاة مرتشين أو أمن مشارك في الجرائم والمتهم الأول في إرادة دم الشعب السوري الأبي أو إعلام متواطأ مع النظام، بالطبع لا، إذا تكون جهة خارجية معتدلة عربية مسلمة مستقلة، تنظر في الأمور وتحكم، وعندما سيعلم النظام كم هو ظالم؟ وكم هو قاتل؟ وكم هو سارق؟ وكم هو عميل؟ عندما سيعلم النظام أنه ظلم الشعب السوري على مدار أربعين سنة، وعندما سيعلم النظام أنه قتل من الشعب السوري أكثر مما قتلت إسرائيل المحتلة من الشعب الفلسطيني منذ 1948م، وعندما سيعلم النظام أنه نهب ثروات سوريا التي هي حق الشعب السوري وليس لفئة فاسدة من النظام، وفي النهاية إن حكم الشعب السوري، ليس محصوراً على فئة أو حزب محدد، لا يحق للشعب السوري انتخاب غيره ويفوز بأعلى نسبة في التاريخ.

وهناك أمر مهم جداً يطرح نفسه، هل الحكم السوري معين من قبل الشعب أم الشعب معين من قبل الحكم؟ صحيح!! الذي ينظر إلى نظام الحكم في سوريا وإلى طبيعة العلاقة بين النظام والشعب، يعتقد أن سوريا عبارة عن شركة، صاحبها بشار الأسد ورئيس مجلس إدارتها، وأعضاء مجلس الإدارة طبعاً من عائلة صاحب الشركة المقربين لأنه يثق بهم، وأما الشعب فهم يمثلون العاملين وترتفع مرتبتهم بحسب تملقهم إلى أعضاء مجلس الإدارة، فهل أمور الحكم تسير هكذا، أم أن الحكم موظف لدى الشعب المالك الحقيقي للوطن، وعليه فإن الشعب هو المسؤول عن تعيين الحكم ومجلس الشعب والبرلمان وهو من يضع الدستور الذي يحكم إليه، وهو الذي يضع الأسس التي يتم انتخاب الرئيس والوزراء، من كافة أطياف الشعب بحسب كفاءتهم ووطنيتهم وحبهم للشعب السوري، وليس بحسب قرابتهم، وتملقهم للرئيس الذي هو يأخذ مرتبه من الشعب.

المصادر: